محاضرة 02

1. السوسيولوجيا الغربية في الوطن العربي

1.1 السوسيولوجيا الغربية... مقاربة تاريخية

أجمع العديد من السوسيولوجيين على أن علم الاجتماع جاء كرد فعل لمشكلة النظام في المجتمع، وربما كان هذا من أسباب الترابط العميق بين النظرية السوسيولوجية والواقع الذي تفسره، فكل نظرية تعتبر انعكاس لواقع اجتماعي معين، مهما كانت درجة التجديد في تلك النظرية، لذلك سنحاول فيما يلي وباختصار شديد التطرق إلى تاريخ السوسيولوجيا الغربية مع الحديث عن الازمة التي تناولها العديد من العلماء كل بطريقته وايديولوجيته.

إن علم الاجتماع كما نعرفه اليوم والذي يتخذ من المجتمع والفرد موضوعا له، لم يقدر له الظهور لولا التطور الذي شهدته مختلف العلوم الاجتماعية الأخرى والتي استلزمت وجود نماذج جديدة للنشاط الفكري، واذا كان العرف يحدد ولادته في القرن التاسع عشر، فإن العالم الغربي قد شهد قبل هذا التاريخ ثورات عديدة، تمتد جذورها إلى عصر النهضة وذلك في كافة المستويات الدينية والاقتصادية والسياسية والعلمية، هذه التحولات العميقة وأخرى عديدة كانت بمثابة الأرضية الموضوعية والخصبة لقيام علم الاجتماع وظهوره ضمن خريطة العلوم كعلم قائم بذاته يراد به فهم جل تلك التحولات الجذرية التي عرفها الغرب، وكان اوغست كونت(1798-1857) وهو المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع متأثرا بتلك الأوضاع الجديدة التي خلفتها الثورات السياسية والصناعية على جسد المجتمع، لكنه بالمقابل يرى أن فهم المجتمع شيء ممكن على ضوء العلم الجديد مستعينا بالعلم والمعرفة، وحسب اغست كونت فإن من بين الأساليب التي يعتمدها علم الاجتماع كأسلوب جديد لمعرفة وفهم المجتمع هو اعتبارها تلك الظواهر الاجتماعية كأشياء كما هو الشأن بالنسبة للظاهرة المباشرة في العلوم الطبيعية، وبمعنى أخر لكي نحقق فهم صحيح للظاهرة لابد أن ننهج منهج العلوم الحقة، وان نتبع في ذلك المنهج الوضعي الذي برهنت العلوم الطبيعية انه وحده الكفيل بتحقيق نتائج علمية حول الظواهر المختلفة، وأن الصبغة الوضعية العلمانية تمكننا من فهم ما يحدث.

ولكن تلميذه دوركايم(1858-1917) لم يكن ليتورط بسهولة في الصراع الإيديولوجي الذي كان الشغل الشاغل للأب الروحي، بل كان همه أساسا هو تأسيس علم قائم بذاته يتخذ من الظواهر الاجتماعية

موضوعا له، فقام بوضع منهج علمي يقوم على أسس إبستيمولوجية في كتاب له تحت عنوان " قواعد المنهج السوسيولوجي " يبين فيه مختلف الأساليب والمناهج التي لابد منها في تفسير الظواهر الاجتماعية، ورغبة منه في تجاوز أراء معلمه أوغست كونت خصوصا تلك النظرة الفردية والتطور في العقل التي يفسر بها تطور المجتمع.

إن دوركايم قام بتفسير الظاهرة الاجتماعية باعتبارها قابله للتحليل والفهم كبقية الظواهر الطبيعة، واعتبرها كشيء ولكي يمنحها طابعا موضوعيا دعا الباحث في علم الاجتماع إلى ضرورة احداث قطيعة و استبعاد الأفكار المسبقة التي يكونها في دهنه عن الظاهرة ، ..... والمتفحص للمنهج الدوركايمي سيجد على أن هذا الأخير أقام تفسيره للظواهر الاجتماعية على منهج هولامي او شمولي يقتضي أسبقية المجتمع على كل إرادة فردية، فالإنسان عندما يولد يجد من حوله المجتمع، الثقافة، واللغة والمؤسسات والتقاليد... كنظم اجتماعية خارجة وسابقة على وجوده، يتأثر بها ويخضع لسلطتها الحتمية، ومن بين أكثر الانتقادات التي وجهت الى دوركايم وحتى اوغست كونت وسبنسر من قبله ،مبالغتهم في تشبيه المجتمع بالكائن العضوي.

بعد ذلك يظهر كارل ماركس (1818_1883) و يعطى لعلم الاجتماع المعرفة طابعه العلمي من خلال تحليله للمجتمع الرأسمالي بمنهج مادي وجدلي يكشف العلاقة التي تربط الفكر بالواقع ، وبمادية تاريخية ترى أن الواقع الاجتماعي للناس هو الذي يحدد فكرهم وليس فكرهم هو الذي يحدد واقعهم، بمعنى أن كل أشكال البنيات الفوقية من فن ودين وسياسة وأخلاق... وباختصار الايديلوجية هي نتاج البنية التحتية التي يجمعها ماركس هي الأخرى في وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج والمال ومن هنا فان ماركس اعتبر العمل الإنتاجي هي العلاقة التي تربط الإنسان والطبيعة، وهذه السمة النوعية للحياة الاجتماعية هي التي جعلته يرفض فكرة تفسير المجتمع سواء باستخدام الفيزيقا الاجتماعية او الفيزيولوجيا الاجتماعية، كما فعل كل من كونت ودوركايم ،وذلك فان تفسير الحياة الاجتماعية لابد من البحث فيه في الأساس المادي وفي الإنتاج الاجتماعي.

ومن يقول علم الاجتماع الغربي يقول البنائية الوظيفية التي كانت تتمتع برواج كبير مند الأربعينيات الى منتصف الستينات، وبرز مع النظرية الوظيفية تالكوت بارسونز أكثر المنظرين الاجتماعيين، والبنائية الوظيفية هي من بين النظريات الاجتماعية المعاصرة التي حضيت بإقبال كبير في أواسط المفكرين والتي تعنى بتفسير المجتمع انطلاقا من تصور نسقي، بحيث أن الجسم الاجتماعي هو

كل مركب من انساق فرعية تتجه نحو تدعيم النسق العام، فهي تقارب المجتمع على أسس منهجية تفرض النظام والانتظام على النسق وتدعم فرضية الاستقرار والتماسك الاجتماعي والتكامل الوظيفي، حتى يتسنى لها تحليل النسق الاجتماعي بعيد عن الصراع والتغير والاضطرابات التي قد تخل بالنظام ، وربما من أهم الانتقادات الموجهة لها تصب في هذا الجانب أي مقاربتها للمجتمع على رؤية ستاتيكية الشيء الذي دفع البعض على وصفها بالنظرية المبتذلة لإفراطها في تدعيم النظام الرأسمالي القائم.

2.1 السوسيولوجية الغربية والواقع العربي:

أكد العديد من المفكرين ومن بينهم مالك بن نبي أن السوسيولوجيا العربية لاتزال تعاني من هويتها وأصولها الفكرية والنظرية، ونفهم من هذه الرسالة أن علم الاجتماع العربي يعاني أزمة الهوية، والتي تعد مشكلة من العديد من المشاكل التي يعاني منها هذا العلم نذكر منها :

- ✓ إن علم الاجتماع العربي يحمل مع حقائقه العلمية مبادئ وضعية والتخلي عن الاسلام الذي يعتبر كمبدأ للمجتمعات العربية.
- ✓ أغلبية نظرياته خاصة وموجهة للمجتمع الغربي لا يمكن تعميمها على المجتمع العربي وتبين أنها اخفقت في فهم المشكلات المطروحة في العالم العربي .
- ✓ المجتمع العربي له ثقافته وقيمه وعاداته وأيديولوجياته وبالأخص لغته التي يتوجب دراستها وتحليلها بنظريات وأسس تملك نفس القالب.

من هنا يتضح بصورة واضحة وصريحة أن السوسيولوجيا الغربية لا تستطيع أن تعكس وتحلل الواقع العربي من ظواهر ومشاكل اجتماعية ومن تحليلات استشرافية لما يعاش اليوم.

المراجع:

1. أحمد زايد (2006) **علم لاجتماع . النظرية الكلاسيكية والنقدية**. ط1. مصر: دار النهظة المصرية .
2. عبد الله مد عبد الرحمن (2000).**النظرية في علم اتجاماع، الجامحل الأول، النظرياة الكلاسايكية. الاسكندرية**: دار المعرفة الحديثة
3. www.ahewar.org